المحاضرة التاسعة:

الأوضاع الثقافية بمدينة الجزائر

تميزت الحياة الثقافية في الجزائر خلال القرن الرابع عشر ميلادي بحركة فكرية وعلمية نشيطة اعتمدت على التعليم بدرجة كبيرة فانتشر في المدن والقرى على حد سواء خاصة وأن التعليم يعد من أسس ودعائم تطور الأمم، وقد أدركت الدولة الإسلامية على تواليها أهميته فاهتمت به وحظته برعايتها عن طريق توفير كل ما يخدم نشاطه من مؤسسات تعليمية ووسائل ومناهج وغيرها من الشروط التي ينبغي أن تتوفر حتى تستمكل عملية التعليم.

فالتعليم في الجزائر قبل الوجود العثماني في البلاد تركز في ثلاث حواضر رئيسية وهي مدينة تلمسان في الغرب الجزائري وبجاية وقسنطينة في الشرق الجزائري فهي تعد بحق مراكز الإشعاع العلمي والثقافي ازدهرت فيها مختلف العلوم والآداب والفنون واشتهرت بها أسر علمية توارثت العلم والمعرفة وتقلد شيوخها مناصب في التدريس والإفتاء والإمامة نذكر منها على سبيل المثال أسرة المقري في تلمسان والفكون في قسنطينة وأسرة المشتالي في بجاية.

كماظهرت المؤسسات الثقافية والدينية في الجزائر وفي المغرب الإسلامي بصفة عامة منذ القرن السابع ميلادي عندما وصل إليها الإسلام على أيدي المسلمين الفاتحين الأوائل وكان المسجد النواة الأوللهذه المؤسسات ثم تلته مؤسسات أخرى شاركته في رسالته النبيلة وخففت عنه بعض الأعباء مثل الزوايا والمدارس العلمية والكتاتيب القرآنية والمعمرات وكانت هذه المؤسسات تعتمد على مصادر مالية لتمويلها تمثلت في مؤسسة الوقف التي تعد بحق أهم المؤسسات الثقافية التي توفر المساعدات المادية والمعنوية.

لقد اعتنى سكان بلاد المغرب عموما والجزائر خصوصا ببناء وتشييد هذه المؤسسات على اختلاف أنواعها وذلك نظرا لأهميتها في المجتمع، حيث تهدف إلى غرس القيم النبيلة والأخلاق الخالصة والصادقة في نفوس أبناء المجتمع الواحد من ثمة تكوين الفرد والمجتمع على حد سواء.

المؤسسات الثقافية بمدينة الجزائر

١- الوقف

تعريف الوقف:

لغة: الوقف في اللغة معناه المنع من الحركة ومن التنقل ومن التداول فيقول وقفت شخصا أي منعته من الحركة والانتقال أي أمرته وألزمته بالوقوف، ويقال وقفت مصحفا أي منعت ملكيته ونقله من مكانه ونقول فلان وقف داره لفائدة الأيتام أي منع نفسه وورثته من تملكها والتصرف فيها، فالوقف دائما يتضمن معنى المنع وهو قريب جدا من معنى الحبس.

اصطلاحا: الوقف هو مصطلح فقهي إسلامي يعبر به عن نوع خاص من التصدق والتبرع على سبيل الخير والإحسان فيطلق على الصدقات والتبرعات التي يكون لها بقاء واستمرار بحيث ينتفع به الناس على مدى سنين أو أجيال أو قرون، وهذا يعني أن الوقف إنما يكون بأشياء يستفاد من نفعها وغلتها وفائدتها مع بقاء الشيء نفسه واستمرار عينه مدة من الزمن تطول أو تقصر كالأرض والبناء والبئر والشجرة.

فالوقف عبارة عن مؤسسة هامة ذات منافع دائمة وقطاعا داعما لنهضة الأمة الإسلامية في كل مناحي الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية والخيرية.

لقد اكتسبت مؤسسة الأوقاف في العهد العثماني بالجزائر مكانة مرموقة، حيث عرفت انتشارا واسعا لكونها تعد من أكبر المؤسسات التي كانت تغذي المؤسسات الثقافية الأخرى، حيث يستعمل في أغراض كثيرة منها العناية بالعلم والعلماء والطلبة الفقراء والعجزة واليتامى وأبناء السبيل. ومن أهم أغراضه أيضا العناية بالمساجد والمدارس والزوايا والأضرحة والعناية بفقراء الأندلس وفقراء الأشراف وغيرهم.

لقد لعب الوقف في الجزائر دورا بارزا في بناء قيم التضامن والتكافل بين أفراد المجتمع بمساهمة من المؤسسات الخيرية التي كانت تديره وقد انتشرت هذه المؤسسة وتنوعت وذلك بفضل تشجيع بعض حكام الدولة العثمانية وأثريائها مثل السلطان بايزيد المعروف بالتقي وقد دفعه وازع التقوى وطلب الآخرة للتقرب إلى الله تعالى عن طريق وضع جزء من أملاكهم وثرواتهم وقفا على الأعمال الخيرية.

حكم الوقف: يعتبر الوقف من الأعمال الخيرية وهو نوع من الصدقات التي حثنا الإسلام عليها، فعن طريق الوقف يتم نقل المال من الملكية الخاصة إلى الملكيةالعامة، ويمتاز هذا النوع من الصدقات بصفة الدوام والاستمرارية وهو ما قصده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث أشياء صدقة جارية أو عمل ينتفع به أو ولد صالح يدعو له" رواه البخاري. فالصدقة الجارية كأن يبنى مسجدا أو مدرسة للعلم النافع أو دار للمسافرين ينزلون فيها أو يجري نهرا أو يترك مصحفا ليقرأ فيه الناس وغير ذلك.

مشروعيته: ويقوم الوقف على مبدأ شرعي وعلى صيغة قضائية ملزمة

فالقاضي عادة هو الذي يقوم بكتابته بصيغة معينة وبحضور الواقف والشهود مع تحديد قيمة الوقف وتعيين أغراضه وكيفية الاستفادة منه وانتقاله وعوامل نموه وتخصيص المشرفين عليهم وشروطهم مع ذكر تاريخ الوقف وتوقيع الشهود والقاضي ومعنى ذلك أن للوقف وثيقة شرعية يستند عليها ويلتزم باحترامها الواقف وأهله والمستفيدون منه وكذلك السلطة. غير أن هذه الوثيقة لم تكن دائما محل احترام لذلك كان إهمال الأوقاف مصدر شكوى من المسلمين خاصة رجال الدين.

الهيئات الإسلامية المنبثقة عن مؤسسة الأوقاف:

أ- مؤسسة سبل الخيرات الحنفية: ينسب بعض الكتاب إنشاء هذه المؤسسة إلى شعبان خوجة التركي عام ١٥٨٤، وهي مؤسسة شبه رسمية تشرف على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس وموظفين وفقراء، كان يشرف عليها موظف يعرف بالشيخ الناظر ويسهر على أملاكها. كانت المؤسسة تقبل جميع الأوقاف الموجهة لمساعدة الطلبة والفقهاء والعلماء والفقراء، وكانت مكلفة بإدارة أملاك ثمانية مساجد أهمها الجامع الجديد، كما كانت تقوم بإنشاء مؤسسات جديدة بنفس العمل ومن أبرز ما قامت به إنشاء جامع كتشاوة وجامع علي بتيش وقد كانت لها أهمية كبيرة في المجتمعالجزائري وذلك لأهمية المنشأة التي تسيرها، كما تتكفل بدفع أجور الطلبة المكلفين بتلاوة القرآن الكريم بالمساجد وتوزيع بعض الصدقات.

ب- مؤسسة وقف الحرمين الشريفين: هي من أشهر المؤسسات الوقفية حيث كانت ترسل أموال أوقافها إلى فقراء مكة والمدينة المنورة مع قوافل الحجاج أو عن طريق الوكالة الجزائرية بالإسكندرية في سفن إلى الحرمين

الشريفين فهي تقدم إعانات لأهاليها.

ج- مؤسسة أوقاف أهل الأندلس: هي مؤسسة وقفية خاصة بأهل الأندلس الفارين من الاضطهاد الإسبانييبعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين عام ١٤٩٢ واستقروا بالجزائر وساهموا في تنميتها في جميع المجالات كما ساهموا في إنشاء العديد من المدن واندمجوا ضمن أفراد المجتمع الجزائري وكونوا ثروة نتيجة ممارستهم للنشاط التجاري والاقتصادي ثم أسسوا مؤسسة وقفية خاصة بهم تعين وتساعد الأندلسيين الفقراء النازحين من الأندلس إلى بلاد المغرب.

د- مؤسسة أوقاف الأشراف: هي مؤسسة تابعة لأشراف الجزائر التي كانت تحظى بتعاطف الحكام الأتراك بسبب نسبهم الشريف وأخلاقهم الرفيعة، وتضم جماعة أشرافحوالي ٣٠٠ أسرة.

هـ- أوقاف الجامع الأعظم (الكبير):تعتبر هذه المؤسسة الوقفية من أهم الأوقاف بالجزائر، حيث تحتل المرتبة الثانية من حيث مردودها وهي ترتكز في كل قسنطينة ومعسكر وتلمسان والمدية، وتعد من المؤسسات الغنية في المجتمع الجزائري كانت وسيلة للنفوذ والإثراء لمن يتولى وكالتها من العلماء ونحوهم، وكانت عائلة قدورة متولية وكالة أوقاف الجامع الكبير بالعاصمة لمدة طويلة واستطاع سعيد قدورة أن يبني زاوية ومدرسة من فائض أوقاف الجامع الكبير، إضافة إلى زاوية الولي دادة وزاوية أحمد بن عبد الله الجزائري وزاوية عبد الرحمان الثعالبي... وغيرها.

و- أوقاف بيت المال:تعتبر من أهم أوقاف الإدارة الوقفية في الجزائر، كان يشرف عليها موظف يطلق عليه اسم بيت المالجي يساعده قاضي يلقب

بالوكيل المشرف على صلاحيات كثيرة في إدارتها، تقوم هذه المؤسسة برعاية جميع أموال اليتامى والغائبين والأملاك التي تصادرها الدولة وكذلك التركات، كما أنها تقوم بأعمال خيرية وإنسانية واجتماعية كدفن فقراء المسلمين وتوزيع الصدقات وتقديم الهدايا في كل عيد إلى الباشا وحاشيته وتصون الأملاك الواقعة تحت طائلتها كما أنها تدفع شهريا مبالغ مالية معينة إلى خزائن الدولة.

٢- المساجد:

تعريف المسجد: لغة: المَسْجِد بكسر الجيماسم لمكان السجود، والمسجَد بفتحها هي جبهة الرجل أين يصيبه السجود، والمِسجد بكسر الميم الخمرة وهي الحصر الصغير.

اصطلاحا: هو اسم المكان الذي يصلي الناس فيه كجماعات أو البيت الذي يسجد ويتعبد فيه للصلاة، فكل موضع يتعبد فيه فهو مسجد.

ويعد المسجد أول منشأة معمارية تشيد في المدينة الإسلامية وذلك اقتداء بالرسول (ص) حين أمر بإقامة أول مبنى وكان ذلك مباشرة بعد هجرته إلى المدينة المنورة وقد عرف باسم مسجد قُبَاء.

فالجامع والمسجد هو المكان الذي يؤدي فيه الناس وظيفة الصلاة الجامعة أو الجمعة والعيدين، كما أنه مركز تعليمي ومقر لتدريس القرآن الكريم وتلاوته وتبرز أهمية المسجد وقيمته في حياة المسلمين في تلك الأدوار الهامة التي يؤديها داخل المجتمعات الإسلامية لقوله تعالى "إِنَّمَا يَعْمُرُمَسَاجِدَاللَّهِ مَنْ آمَنَبِاللَّهِوَالْيَوْمِالْآخِرِوَأَقَامَالصَّلَاةَوَآتَىالزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَۖفَعَسَىٰأُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾" فالمسجد له دور عظيم في بناء الفرد والمجتمع على حد سواء.

ومن مميزات المجتمع الجزائري أنه أولى عناية كبيرة ببناء وتشييد المساجد لذلك قد انتشرت بكثرة هذه المؤسسة فلا نكاد نجد قرية أو حيا في المدينة بدون مسجد خاصة وأنه ملتقى العباد ومجمع العيان ومنشط الحياة العلمية والاجتماعية فهو أيضا قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة وحوله كانت تنشر المساكن والأسواق والكتاتيب كما أنه يمثل الرابطة بين أهل القرية والمدينة أو الحي.

لقد اختلفت الإحصائيات عن عدد المساجد الموجودة في المدن الجزائرية خلال العهد العثماني، فرغم توفرها بكثرة في الجزائر فإن بعض المؤلفين والملاحظين قد اشتكوا من عدم العناية بها فقد كان بعضها خرابا وبعضها سيء البناء وبعضها محروما من الأوقاف الضرورية لتجديده ورغم ذلك فإن الأوروبيون قد أعجبوا بهندسة وبناء المساجد في المدن الجزائرية وعرصاتها المرمرية وزخرفاتها بالفسيفساء والنقوش العربية وفرشها بالزرابي الغنية والحرير المطرز أحيانا الأمر الذي جعل الفرنسيون بعد احتلالهم للبلاد عام ١٨٣٠ يختارون أجمل وأكبر المساجد ويحولونها إلى كنائس من أجل عبادة إله المسيحين، وخير دليل على ذلك جامع كتشاوة الذي تم تحويله إلى كاتيدرالية وذلك نزولا عند رغبة الدوق دوروفيقو الذي طلب من جنوده أن يختاروا له أجمل المساجد في مدينة الجزائر، فحملت الكنيسة اسم سانت فيليب وصلى المسيحيون فيه أول صلاة مسيحية ليلة عيد الميلاد عام ١٨٣٢ وبعثت الملكة إميلي زوجة لويس فيليب هدايا ثمينة للكنيسة الجديدة أما الملك فقد أرسل الستائر الفاخرة وبعث البابا غريغور السادس عشر تماثيل للقديس. إضافة إلى جامع سوق الغزل بقسنطينة الذي حول أيضا إلى كاتيدرالية كما تم هدم الكثير

من مساجد العاصمة مثل جامع السيدة الذي كان آية في الفن المعماري. وغيرها من المساجد الجميلة التي تم توزيعها على الجيش الفرنسي لربط خيوله ووضع عتاده، ثم تم تحويل بعضها إلى إقامات للجمعيات الدينية والفرنسية أو حتى بيعت للأوروبيين بغية تحويلها إلى منازل وحمامات، كما استعملت بعضها كمخازن للحبوب وصيدليات ومسارح. وكان يشرف على الجامع موظفين يختلف عددهم من جامع إلى آخر فنجد مثلا الخطيب والإمام والمدارس والمؤذن والحزابوبعض القراء وكان لكل واحد من هؤلاء مرتب خاص به يصرف عليه من الوقف.

أنواع المساجد في العهد العثماني:

١- مساجد قام بتأسيسها الحكام والأمراء والملوك ويعتبر ذلك في نظرهم جزءا من واجبهم الديني لخدمة المجتمع الإسلامي ومساعدته في تأدية شعائره الدينية وكسب عطف الرعية وربما للشهرة أيضا مثل الجامعالكبير بالعاصمة كان مقرا للمفتي المالكي وللمجلس الشرعي الأسبوعي (يوم الخميس) هذا المجلس الذي يضم المفتي المالكي والحنفي والقاضيين مالكي وحنيفي وكبار العلماء والقضاة من أجل الفصل في القضايا الفقهية الشائكة، كما أنه مركز للمناظرات بين العلماء في المسائل الخلافية العامة، والجامع الجديد بمدينة الجزائر حيث كان مقرا للمفتي الحنفي، وجامع الباي بقسنطينة وصالح باي بعنابة وجامع الباشا بوهران والجامع الكبير بتلمسان وآخر بدرومة.

٢- مساجد قام بتأسيسها الأثرياء من الناس، حيث ساهموا في بناءه وصيانته والوقف عليه بهدف التقرب من الله، واستمالة بعض الفئات الاجتماعية وشيوخ الدين أو لكسب الشهرة، ويوجد الكثير منها في مدينة بجاية والجزائر

وعنابة ومسجد صالح باي الذي عرف باسم المسجد الجديد وجامع محمد الباي الكبير في معسكر كان يخطط أن يكون هذا الأخير قاعدة كبيرة لنشر التعليم في المنطقة ينافس به القرويين في فاس. لكن لم يكتب له ذلك إلا أنه تم إضافة إليه مدرسة وأوقف له أوقافا كثيرة منها خزانة كتب وحمام وحدائق ودور وحوانيت وبني له فرنا وأصبح جامع الباي بمعسكر من المباني الهامة يقصده الناس للتنزه والتعجب.

٣- مساجد قامت بتشييده المؤسسات الخيرية، فهو بمثابة عمل مكمل لعمل الولاة والأغنياء والشيوخ أعدادها كثيرة لا يعد ولا يحصى بمختلف جهات البلاد، وهي مساجد متواضعة مبنية بالحجر أو الجبس صوامعها منخفضة، قوائمها ضخمة، فراشها بسيط من الحصير والزرابي.

وفي الأخير نقول بأن المساجد بنيت وشيدت منذ الماضي البعيد ومازالت موجودة حتى يومنا هذا تؤدي وظيفتها على أحسن وجه فهي بيوت أذن الله عز وجل أن ترفع ويذكر فيها اسمه وتطهر فيها النفوس ويسبح فيها وتقام فيها الصلاة وتؤتى الزكاة، فهي دور عبادة وذكر وتضرع وخضوع كما أنه منبر توجيه، والهدف الأسمى منه هو بناء وإعداد الفرد والمجتمع على حد سواء.

٣- الزوايا والرباطات:

أ- الزوايا

- **تعريفها:**

لغة: هي كلمة مفردها زاوية من أصل الفعل إنزوى ينزوي بمعنى اتخذ ركنا للعبادة، وهي مأخوذة من الفعل زوى بمعنى انعزل وابتعد وجاءت الزوايا

في مناطق قروية بعيدة عن المدن فوجودها كان دوما في زاوية المدينة وأطرافها أو ركن منزويها.

اصطلاحا: هي مؤسسة تعليمية تعني بالقرآن وعلومه ويطلق الزاوية تاريخيا على بناء ملحق بأحد المساجد في المدن مخصصا لاستقبال الأطفال وتعليمهم مبادئ الإسلام والقراءة والكتاب وأوليات الحساب على نحو شبيه بما تقوم به الكتاب.

هي تعتبر مؤسسة شاملة، فهي مكان للتعليم تلقي فيها الدروس للطلبة في مختلف المراحل. هي أيضا ملجأ للفقراء والمساكين، وأبناء السبيل يلجأ إليها ويجد كل ما يحتاج إليه، كما هي ملجأ للطلبة والأساتذة يمكثون فيها طول فترة تمدرسهم. كما أنها مركز لعبادة الله وذكره في أوقات الذكر وحفظ القرآن الكريم.

أما أبو قاسم سعد الله فيقول بأنها مؤسسة كاملة فيها السكن والطعام والملجأ والتعليم والعبادة وكان بعضها يعتبر مدارس عليا لمواصلة التعليم الذي بدأه الفتيان في المكاتب أو المدارس القرآنية.

في حين يعرفها يحي بوعزيز بقوله: "هي عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل المختلفة الأشكال والأحجام تحتوي على بيوت للصلاة كمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية الإسلامية وأخرى لسكن الطلبة وطهي الطعام وتخزين المواد الغذائية والعلف وإيواء الحيوانات التي تستعمل في أعمال الزاوية.كما يعرفها محمد على دبوز بقوله: الزاوية كالرباط هي مجموعة من الأبنية للتدريس.

٢- نشأتها:

إن أول من شيد الزوايا هم المرابطين والمتصوفة الذين اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب التمدن والعمارة طلب للهدوء والسكون المناسب للعبادة والاعتكاف. فمؤسسها هم رجال دين متصوفون متزهدون. بدأت تظهر حكتهم في المشرق الإسلامي منذ ق ٢هـ ثم انتقل الزهد والتصوف إلى بلاد المغرب العربي وانتشر بها أواخر العصر الوسيط (ق٥هـ) ومطلع العصر الحديث. ثم انتشرت الزوايا بشكل أكبر خلال القرن ١٧م مع بدايةالتحرش الإسباني والبرتغالي على سواحل المغرب العربي، وظهرت في الريف ربما يعود ذلك إلى افتقار الأرياف للمراكز التعليمية الأخرى إضافة إلى انتشار الطرق الصوفية والتي عادة ما تخذ من الزوايا مركزا لها ومن ثمة ارتبط اسم الزاوية بالتصوف أي أصبحت تنتسب إلى شيخ من شيوخ الصوفية، وكانت الزاوية في العادة تحتوي على ضريح الشيخ وجامع صغير ومساكن للغرباء والطلبة. ثم توغلت الزوايا في جنوب شرق آسيا وبلاد القوقاز وإفريقيا خاصة مع الاحتلال الأوروبي في القرنيين ١٩ ومطلع القرن ٢٠م حيث وقفت الزوايا تقاوم السياسة الاستعمارية سرا وعلانية ودفاعا عن مقومات الأمة، للتدريس الابتدائي وحفظ القرآن ولسكن الطلبة وفيها قسم لنزول المسافرين، كما يوجد بها مسجدا للصلاة والوعظ والتدريس تعمل على نشر العلم والاحسان إلى الفقراء وإيواء اليتامى.

وفي الجزائر بلغ عدد الزوايا بالقطر الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي أكثر من ٣٤٩ زاوية موزعة على مختلف مناطق البلاد. وكانت منطقة زواوة وبجاية ببلاد القبائل من أغنى المناطق في الجزائر تمركزا للزوايا وصل عددها ٥٠ زاوية وجاء تسميتها بالزواوة لكثرة الزوايا المتواجدة بها ومن أشهرها وأكبرها ماديا

وأدبيا زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي التي تخرج منها علماء زواوة الذين أسهموا في قضايا الثقافة داخل الوطن وخارجه.

٣- شكل الزاوية وهندستها:

هي عبارة عن مجموعة من الأبنية ذات الطابع المعماري الإسلامي وكثيرا ما شيدت قبابها على أضرحة الأولياء الصالحين أو بنيت تخليدا لذكراهم. بناؤها يختلف عن بناء المسجد والمدرسة وغالبا ما جمعت بين هندسة المسجد والمنزل وهي قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرصات، قليلة النوافذ. وإذا كان للزاوية مسجد فهو في الغالب بدون مئذنة.

أما من ناحية الهندسة فيقول سعد الله بأنها غير جميلة بالإضافة إلى أنها كثيرة الرطوبة والعتمة شكلها يوحي بالعزلة والتقشف والهدوء، أكثر مما يوحي بالاختلاط والثراء والحركة غير أن بعض الزوايا المعدة أصلا لسكن الطلبة ونحوهم كانت واسعة وصحية.

٤- أنواعها: توجد ثلاث أنواع:

-من حيث الانتساب وهي:

١: زاوية المرابطين: ليس لها طريقة صوفية تتبعها ولامريدين تابعين فهي للطبة ونشر العلم واستقبال الغرباء والبؤساء والمحرومين الذين يبحثون عن ملجأ أو هي مكان للزوار الذين يأتون لتقديم التبرعات والصدقات فالمرابطون يعملون فيها دون مقابل على الرغم من فقرهم واحتياجاتهم. وبالتالي أنشأ هذا النوع لأعمال البر والإحسان.

٢: زوايا الطرق الصوفية: قد تكون زاوية الطريقة الأم أو فرع تابع لها وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي. يكون الشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر في كل شيء والطريقة لها مريدون وأتباع هم الذين يقومون بتموين الزاوية، أما في حالة الوفاة الشيخ فالخلافة تكون عن طريق الوصاية التي يتركها الشيخ أو تختاره عائلته وفق شروط خاصة.

٣: الزوايا المنسوبة: هي الزوايا التي تنسب إلى شخص ميت تقدسه الناحية وتحي ذكراه وهو مدفون بالزاوية، فينسبون الزاوية إليه. فتحج العوام إلى الزاوية لزيارة قبره (الضريح) طالبة للتبرك لا للعلم والوعظ.

- زوايا من حيث الموقع:

١- زوايا الأرياف: تكون مبنية حول قبر المرابط، وفي هذا المكان يوجد أحفاده. لها أوقاف من أراضي وبساتين، تغذي الفقراء والضيوف، وحق الزاوية هو العشر (العشور) وعادة يكون القائم عليها هو حفيد المرابط ومن لجأ إليها فهو في أمان مهامها التعلم والتربية تكون في القرى بعيدة عن مفاسد الحضارة.

٢- زوايا المدن: عبارة عن بناية كبيرة لإيواء الطلبة والعلماء وحتى الغرباء... تتوفر فيها بعض الحاجيات كالماء والإضاءة ... وتصبح الزاوية مدرسة ويلحق بها مدرس شهير لتدريس العلوم العليا ويحمل اسم مؤسسها أو الحي الموجودة فيه وأحيانا اسم مرابط التابعة له.

٥- القائمين على الزوايا:

ان المسؤول الأول للزاوية عادة ما يكون هو مؤسسها أو المرابط نفسه أو ورثته فالزاوية هي مقام الولي ومصلاه ومجمع أوراده. وفيها يدرس ويحكم سيفم ويكون ذلك خاصة في الريف، أما في المدن فتكون تحت إشراف قيمتيأو

مديرين يعينهم وكلاء وفي غياب المؤسس أو المرابط يتولى إدارة الزاوية عادة أبناؤه وأحفاده على نفس النمط. كما أن الزاوية تحتاج أيضا إلى منظفين ومؤذنين ومساعدين...إلخ.

٦- مصادر تمويل الزوايا:

تنوعت مصادر تمويل الزوايا فهي تعتمد على ثلاث مصادر رئيسية هي:

١- أموال الحبس والأوقاف من الأملاك والأراضي الفلاحية والدكاكين والعشور وغيرها من الهبات والعطاء الذي عادة ما يقدمه أهل التقوى والجود والورع ويحسبونه خدمة للزوايا الأمر الذي يسهل عملية انتشارها واستمرار وجودها لفترة طويلة من الزمن خدمة للعلم والتعلم.

٢- الإعانات التي يقدمها لها بعض الأفراد والعائلات أو حتى بعض الشيوخ حيث أسسوا بعض الزوايا رغبة في تخليد أسمائهم أحيانا وقاموا بجعل ممتلكاتهم وعقاراتهم في شكل أوقاف محبوسة.

٣- أموال الزيارات والوعادي (جمع وعدة) التي يقدمها زوارها من الإخوان والأتباع والمريدينوالمحبين على شكل نقود وبضائع ومواد غذائية وألبسة مختلفة وكان الناس يميلون بأوقافهم وأفعالهم الخيرية إلى الزوايا أكثر من ميلهم إلى المسجد أو المدرسة وكان الواقفون والمتصدقون على الزوايا من عامة الناس الذين غلبا على عقولهم الجهل والخرافة فهم يعتقدون بأن جزائهم يأتي بسرعة وأن ذنوبهم تغتفر في الحال إذ يكفي أن يرضى عليهم الشيخ ويمنحهم البركة.

وهناك زيارات منظمة أو موسمية التي يحددها الشيوخ والمقدمون كأوقات الزكاة ومواسم الزواج والأفراح وتكون الزيارات في هذه الأوقاف جماعية وكان

الهدف من هذه المصادر هو الرغبة الملحة في انتشار الزوايا والحفاظ على استمرار وجودها وتكريس وظيفتها التعلمية والدينية وحتى الخيرية والجهادية.

٧- الدور التعليمي للزوايا:

لقد تعددت أدوار الزوايا في الجزائر أواخر العهد العثماني فكان لها نشاط كبير في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية وحتى الجهادية.

إن التعليم الذي كان منتشرا في الجزائر خلال هذه الفترة هو التعليم الغربي الاسلامي التقليدي الذي حافظت عليه البلاد أبا عن جد وفي مختلف مناطق الوطن كما أن التعاليم الدينية كانت متجذرة في عمق المجتمع الجزائري والفضل في ذلك يعود إلى الزوايا التي احتلت الصدارة في الحفاظ عليه ونشره، فأدت بذلك خدمة عظيمة في الحركة العلمية على وجه الخصوص وحسب أبو القاسم سعد الله أن التعليم كان متنوعا في الزوايا أكثر من الكتاتيب وفي هذا الصدد يقول أن التعليم في الكتاتيب يكاد يكون يقتصر على القرآن ومبادئ الدين والقراءة والكتابة، أما التعليم في الزوايا فقد تضمن علوم الدين وعلوم اللسان والأخبار والتصوف ومناقب الصالحين.

لقد عرفت الجزائر انتشارا واسعا لمؤسسة الزوايا نظرا لأهميتها ولتعدد أدوارها ولقد لعبت زوايا الأرياف دورا أكثر إيجابيا من الزوايا في المدن ويظهر دورها بشكل واضح في مجال التعليم على وجه الخصوص. حيث انتشرفيها على نطاق واسع. فعلى سبيل المثال نجد مدينة الزواوة قد عرفت حركة علمية نشيطة تضاهي بعض الحواضر العلمية في الجزائر كما كانت أكثر المناطق في الجزائر تمركزا للزوايا التي وصل عددها حوالي ٥٠ زاوية لدرجة أن تسميتها

(زواوة) جاء نسبة لكثرة الزوايا المنتشرة فيها وقد تحملت كلها مسؤولية نشر العلم.

لقد كان للزوايا في الجزائر فضل عظيم ودور إيجابي في الحياة الثقافية والدينية فدورها يكمن في المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه كتابتا ورسما، تلاوة وتجويدا حتى لا تمسه يد التحريف والتغيير، حيث كان يتلى صباحا ومساءا فرادى وجماعة وكان الأطفال يجلسون على الأرض في عملية التلقين اعتقادا في ذلك وجود نوع من الخشوع المناسب للعبادة وتقربا من الله عز وجل حتى يستجيب لدعواتهم.

لقد كان للزوايا فضل عظيم حتى عملت جاهدة في تعميم تعليم الدين الإسلامي بين مختلف طبقات المجتمع كما حرصت كل الحرص في الحفاظ عليه من الاندثار والنسيان فكان لها دور كبير في إعلاء شأنه وحفظه في البلاد.

فبالإضافة إلى وظيفتها الدينية كانت الزوايا عبارة عن معاهد لتعليم الشبان وتنوير العامة فهي عبارة عن خلية تضم العديد من الطلبة الذين يطمحون للتحصيل العلمي حيث كان طلاب يتلقون فيها أشهر علوم زمانهم كتعليم اللغة العربية وما ينبثق عنها من علوم أخرى. كما حافظت الزوايا على اللغة العربية باستمرار من الضياع وعملت على وقايتها من الهلاك باعتبارها شريعة تتمتع بنوع من القداسة الدينية كونها لغة القرآن وهي التي نزل الوحي بها من السماء فأكسبها بذلك خلودا في نفوس الناطقين بها. فالزاوية كانت الحصن المنيع الذي دافع وبكل قوة عن الدين الإسلامي واللغة العربية وحتى الثقافة الإسلامية كما ساهمت في الحفاظ على ثوابت الأمة فعلى الرغم من بساطة تعليم الزوايا

وتواضعه إلا أنها استطاعت أن تصون الشخصية الوطنية وأن تحمي عقيدتها وتجعل الأمة العربية تعتصم بدينها وتعتز بقيمها وتتعلق بلغتها. كما قامت بتكوين رجال صالحين اختلفت مجال اختصاصاتهم في الدين والثقافة وحتى السياسة فكان لهم دور عظيم في الحفاظ على ثوابت الأمة العربية الإسلامية. كما كانت الزوايا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمحفوظات في مختلف العلوم والفنون وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالعلم والتعليم والنسخ والنقل والتأليف والجمع.

لقد فتحت الزوايا أبوابها أمام طلاب العلم والمعرفة، وضمنت لهم الرعاية التامة من إيواء وإطعام وأنفقت عليهم من مواردها لتكون بذلك المحرك القوي للحركة الفكرية في الجزائر، بعد التلقين والتعليم تخرج على يدها أجيالا من العلماء والمتعلمين وهو جيل معرب متشبع بمبادئ القرآن الكريم أدوا دور كبير في نشر التعليم والتربية على مبادئ الدين الإسلامي وترسيخ قواعد اللغة العربية.

لقد وجهت بعض الانتقادات لنشاط الزوايا، حيث يتهمها بعض الباحثين على أنها قد تتسبب في تخلف التعليم الإسلامي وذلك باقتصارها على عملية التلقين وعدم تشجيعها لاستعمال الرأي والمبادرات الفكرية الحرة واشاعتها لأفكار معينة كالتواكل والخرافة هذا بالإضافة إلى انغلاقها على نفسها وعدم التعاون والتشارك مع غيرها من المؤسسات العلمية منها والثقافية وانعزالها عن ساحة التأثير الاجتماعي وكذا تكريسها للمذهبية والقبلية والطائفية مما يزيد من أسباب الخلاف والاختلاف بين الزوايا من أسباب الخلاف والاختلاف بين الزوايا أنفسهم ومعنى ذلك أنه كانت توجد بالجزائر زوايا جاهلة فاسدة، حادت عن

طريق الدين وهي التي أضرت بالجزائر ضررا كبيرا وكانت في يد الاستعمار وبلاء وفتنة وهم الطرقية الاستعمارية.

وفي المقابل لا يمكن في أي حال من الأحوال أن ننكر وظيفة الزوايا ودورها النبيل حيث تمكنت من القيام برسالة جليلة تمثلت في نشر التعليم والتربية الروحية وبالتالي تحصين الأجيال دينيا وثقافيا وتغذية روح المقاومة بعد احتلال البلاد وذلك عن طريق رفض كل مخططات العدو حيث بقيت بعض الزوايا هامدة في وجه الاستعمار الفرنسي لسنوات عديدة وذلك بحكم طبيعة وظيفتها ونظامها ومكانتها في المجتمع الجزائري فلم تتقاعس عن تأدية المهمة المنوطة بها بل تعدتها إلى أبعد من ذلك وهي رافعة لواء الجهاد بالسيف والقلم وبالتالي فرسالتها كانت حضارية امتزجت فيها الروح الدينية بالروح الوطنية.

ب- الرباطات:

تشبه الزوايا في بعض الجوانب فهي مثلها في خدمة الدين والمجتمع غير أن الرباطات تمتاز بكونها قريبة من مواقع الأعداء فتأسيسها يهدف إلى بالدرجة الأولى إلى خدمة الجهاد والدفاع عن حدود الإسلام مع أداء مهمة العلم.

كانت الرباطات خلال القرن ١٦م منتشرة على السواحل التي نزل فيها الأعداء أو كانوا يهددونها فكان الطلبة جنودا أو علماء في نفس الوقت، فكانت الرباطات مكانا يجتمع فيه المجاهدون وينطلقونمنها ويأوون إليها من أجل الزاد والسكن.

ولقد لعبت الرباطات دورا كبيرا في عملية فتح بعض المدن الساحلية منها فتح وهران الأول من علمائها مصطفى الرماحي وأبو الحسن (أو حسون) العبدلي أما علمائها أيام الفتح الثاني محمد بوجلال والطاهر بن حوا ومحمد بن

علي الشارف المازوني وولداه محمد مصطفى بن زرفة وقد تمركزوا عند جبل المائدة قرب وهران للتضيق على الكفار، ليكونوا قد جمعوا بين مهمة الدراسة والحرب، وبالتالي فإن الرباطات هي عبارة عن قلاع وزوايا ومدارس متنقلة.

٤- **المدارس العلمية:**هي عبارة من مؤسسة ثقافية تتمثل وظيفتها الأساسية في تعليم مختلف العلوم الدينية وغير دينية، ظهرت بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية واتصل المسلمون بحضارات وشعوب أخرى غير إسلامية واحتكوا بها ودعت الحاجة إلى اقتباس علومها ومعارفها والاستفادة منها لذلك اهتم المسلمون بإنشاء هذه المدارس وتعميمها نظرا لأهميتها ولوظيفتها النبيلة.

لقد كثرت بالجزائر المدارس الابتدائية حتى كان لا يخلو منها حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف بل كانت منتشرة حتى بين أهل البادية والجبال النائية، هذا ما جعل جميع من زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليموندرة الأمية بين السكان.

ويذكر ويليام شالر بأن الجزائر كانت تملك الكثير من المدارس العادية التي يتردد عليها الكثير من الأطفال ابتداء من سن ٥ و٦ سنوات فما فوق حيث يتعلمون القراءة والكتابة، وقد تنوعت العلوم والمعارف التي تدرس بها إلى علوم دينية كتحفيظ القرآن وشرحه وتفسير الحديث وتعليم الفقه والتوحيد والمنطق والأصول، إضافة إلى علوم اللغة والأدب كالنمو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي وقواعد الإنشاء باعتبارها أداة ووسيلة لإتقان العلوم الدينية.

لقد انتشرت الكثير من المدارس بمدن الجزائر فتلمسان مثلا نجدها قد اشتهرت بوفرة المدارس والعلماء وقد أشاد بذلك الكاتب المغربي الحسن الوزان بعناية أهل تلمسان بتشييد المدارس والإنفاق عليها.

كما كانت توجد بقسنطينة والجزائر العديد من المدارس التي مازال منها اليوم قائما مثل المدرسة الكتانية وسيدي الأخضر بقسنطينة وعبد الرحمان الثعالبي بالجزائر العاصمة ومدرسة مازونةوندرومة وغيرها من المدارس التي تحملت مسؤولية تعليم وتربية الأطفال على مبادئ الإسلام وعلى نمط اجتماعي محدد.

٥- **الكتاتيب:**هي كلمة مأخوذة من كتاب وجمعها كتاتيب وهي عبارة عن بيوت منفردة وأحيانا مجمعات من البيوت مختلفة الأحجام والأشكال وقد انتشرت في سائر البلدان الإسلامية منها بلدان المغرب العربي خاصة في العصر الحديث، وكان التعليم في الكتاتيب القرآنية يتم بتجميع الأطفال (الطُلبة) حول المعلم يستعملون وسائل بسيطة في عملية التعليم كاللوحة الخشبية والأقلام المصنوعة من القصب واستعمال أيضا الصمغ المصنوع من الصوف المحروق، وكانت تفرش الكتاتيب بالحصر والسجاجيد في شكل دوائر نصفية فيملون عليهم أجزاء من القرآن الكريم فتكتب على الألواح فيتمرن الأطفال على قراءته ويقرؤونهحتى يتم حفظه ثم يتم محوه في صباح اليوم المواليويكتب غيره من بقية سور القرآن الكريم، وتستمر العملية على هذا المنوال إلى أن يتم حفظ القرآن الكريم كاملا.

٦- **المعمرات:**هي مؤسسات ثقافية تشبه الكتاتيب القرآنية تنتشر في الأرياف الجزائرية خاصة في القرى الجبلية كمنطقة القبائل بالشرق الجزائري يقصدها الكثير من التلاميذ والطلبة من كل ربوع الوطن حتى من خارج البلاد وذلك من أجل حفظ القرآن وترتيله، إضافة إلى التزويد ببعض العلوم والمعارف الأخرى دينية ولغوية.

كان تلاميذها هم الذين يشرفون على القيام بأعمال النظافة المعمرة، كما يحضرون الطعام ويجلبون المؤونة الغذائية والمياه والرعي بحيوانات المؤسسة (المحبوسة للمعمرات). يرأس المعمرة شيخ مسن يحمل لقب المقدم أو الوكيل ويساعده عدد كبير من الطلبة والمقدمين الثانويين وتؤدى الصلاة فيها بصوة جماعية كما يتلى القرآن بصفة منتظمة ومتعارف عليها من قبل التلاميذ المعمرة.

لعبت المعمرات دورا بارزا في تعليم القرآن وتحفيظه ونشره وتعميمه بين الأجيال، إضافة إلى تعليم بعض العلوم الدينية واللغوية كما احتضنت الفقراء وأوت المساكين وقدمت لهم العون والمساعدات المجانية.